

أحمد شوقي وشعره القصصي عند النقاد

Ahmad shoqi and his factious poetry in light of critics review

شمس الحسين ظهيرⁱ استراح خانⁱⁱ

Abstract

The authenticity of Ahmad Shoqi in the Arabic poetry is well known in the whole world, as he has contributed various kinds of literary arts to the Arabic literature. Beside the numbers of his poetical verses as no one has contributed to Arabic literature as much as he has and apart his attempts which gained him the honor, his deficiencies were criticized time to time by critics, particularly the literary lakes which were occurred in his narrative poetical works where highly upraised by them. These observation raised by critics are hereby collected and discussed in this article, it the light of these opinions we can easily decide his status in the narrative poetical art which he introduced in Arabic literature with a new shape and features. Adding more, the brief history of this art in the Arabic literature is also been sketched.

Key words: Ahmad Shoqi, Arabic literature, poetical works

لا شك أن الأدب القصصي بدأ عند العرب في القرن الثاني بيد ابن المقفع¹ حينما قام بترجمة كليلة ودمنة من الأدب الفارسي إلى الأدب العربي. ولا ريب أن ألف ليلة وليلة هي أول لبنة في فن الأدب العربي السردي كما هي حقيقة ثابتة عند أدباء كل اللغات. رغم كل تلك الحقائق اضمحل الأدب عند العرب عقب سقوط الخلافة العباسية بيد تتار، وعاد الأدب إلى ما كان عليه من الترقية بعد احتلال نابليون² على

ⁱ الباحث في درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة إسلامية كالج، بشاور

ⁱⁱ الباحث في درجة الدكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة عبد الولي خان، مردان

تهذيب الأفكار: المجلد 2، العدد 1 أحمد شوقي وشعره القصصي عند النقاد يناير-يونيو 2015م

مصر سنة 1798م. ثم لما رغب العرب في الانتقال من بلادهم إلى أوروبا بأن تواردوها تجاراً يطلبون أسباب المعاش فجعلوا يعيشون هناك طلباً للرزق كما سافروا إليها ليتثقفوا بثقافتهم ويتأدبوا بأدابهم، وجعلوا خلال مكثهم في أوروبا يأخذون مذاهب آدابهم ويدخلونها في أدبهم العربي الذي ذهبوا به معهم إلى أوروبا. من بين هؤلاء المثقفين كان مارون نقاش³ حيث ورد إيطاليا 1846م تاجراً فتأثر بالتمثيل الإيطالي وترجم عن الفرنسية قصة "البخيل" لموليير وأدخل فيها شعراً، ثم ألف روايات غيرها ما دفعت الناس إلى الإقبال الهام عليها⁴.

وبعد أن بعث توفيق باشا أحمد شوقي أمير شعراء العرب المحدثين إلى فرنسا في ختام القرن التاسع عشر ليتأدب بأدابهم ويتعلم هناك، فرجع شوقي إلى مصر وهو يحتمل معه اكتشافات أدبية جديدة حيث انكب على كتابة الروايات والمسرحيات الشعرية، وصدر هذا سنة 1893م كوضع لبنة أولى في شعر قصصي عربي حيث ألف أول مسرحية شعرية في نفس السنة، ثم استمرّ بكتابة الفن نفسه حتى استكمل لديه سبع روايات شعرية في خزانة نتاجه الذي أداها للمكتبة العربية. وهي؛ علي بك الكبير، عنترة، ألسنت هدى، مجنون ليلى، قمبيز، البخيلة، كليوباترا. وكل تلك الروايات شعرية، منها ست مأس، وواحدة منها ملهاة، وقد لاحظ في شعره القصصي الجمهور كما هو دربه في شعره الغنائي، إذ نرى ثلاث مأس من مآسيه تسترزي العاطفة الوطنية في المصريين وهي: كليوباترا، وقمبيز، وعلي بك الكبير، وثلاثا أخرى تسترزي العواطف العربية والإسلامية، وهي: مجنون ليلى، وعنترة، وأمير الأندلس. وملهاته "البخيلة" تقوم على موضوع مصري شعبي⁵.

وقد كان شوقي في شعره القصصي لا ينفك عن المدرسة الكلاسيكية الغربية الفرنسية بحيث تعتمد مسرحياته على فصول ومناظر ومشاهد، كما يُساق في فاتحتها وصف الأماكن والملابس والأشخاص الممثلون. ثم لا تزال الأقوال والأفعال والحركات تنمو إلى الأمام فتظهر العقدة واضحة. وهذه العادة في غير ما مسرحياته، وهو النمط الفرنسي المسرحي بدليل ترجمته عندئذ لقصيدة "البحيرة" الشهيرة للامارتين وبدليل اقتباسه ومحاكاته لعدد من حكايات لافونتين⁶. ولا عجب في اتباعه فرنسا في ذلك، إذ

تهذيب الأفكار: المجلد 2، العدد 1 أحمد شوقي وشعره القصصي عند النقاد يناير-يونيو 2015م
هو يستورد فناً جديداً بتمامه في أدب العرب، ولا بد لكل آخذ من الاتباع بما هو يتوفر
لدى المأخوذ ويفتقده الآخذ، ولو كان قليلاً.

بعض المزايا في شعره القصصي

نتعرض لأبرز مزايا في شعره القصصي؛ المزايا التي قد غلبت على هذا النوع
الشعري. ومن الطريف كون تجديد الشاعر وابتكاره في القصصية ما زال يُعدّ كمجتهد
ناجح في الفن حتى كرائده كما قال أحمد علي كنعان يتكلم حول عن هذا الفن:
"فن أدبي رفيع من فنون الأدب العربي فن القصة، والتقاء هذا الفن بالشعر
جعله متميزاً في أدبنا الحديث، وكان للشاعر أحمد شوقي الريادة في هذا
الميدان"⁷.

معالم الشعر القصصي في أدب الأطفال والحكايات لشوقي

من غايات الأدب تأديب النفوس صغيرها وكبيرها، فكان لأطفال صغار
متأديبين حظاً وافراً لدى شوقي وشعره القصصي، ويدلّ عليه إفراده بباب كامل سمّاه ب:
باب الحكايات، ما تشتمل على خمس وخمسين حكاية تجرّي بلسان الطيور، وهذا أدّى
إلى استكمال مبنى أخذ شاعرنا أحمد شوقي يبنّيها⁸.

وكان في القلم يعدّ شعر العرب غير صالح لإنشاد القصص والبيان، وغير
صالح لأن تُكتب فيه مسرحية أو رواية لكون السرد واسع الفكرة والخيال وأهل العرب هم
أهل بديهة وارتجال مع انصراف النظر عن مكثهم لدى الأوروبيين⁹ وأن فنون السرد
الثلاث أعني: القصة والرواية والمسرحية تقتضي الترابط في داخل الحركات التي تتقدم في
كل سرد بين أشخاصها الممثلين. وأما الشعر وخاصة الشعر العربي القائم مع مراعاة
أوزانه فلا تصلح لأن تُؤلف فيه مسرحية أو رواية أو قصة. وهو الأمر الذي دفع الدكتور
محمد مندور¹⁰ إلى هذا الرأي حيث قال:

".....وعلى هذا النحو يكون الشعر أصلح للوصف والتصوير منه للتعبير
والإفصاح اللذين يتطلبهما الأدب المسرحي ويكون مجاله الغناء لا المسرح"¹¹.

وهو السبب الذي قام النقاد لأجلها إلى تقييم مضبوط حول شعر شوقي القصصي حينما قرؤوا وحققوا وتفقدوا الأحوال في شعره القصصي، وطعنوا من جهات عديدة على الفن السردي لدى أحمد شوقي الشاعر، لأجل ذلك فشل شعره السردي ولم يحصل على مكانة مرموقة مثل فنون أدبه الأخرى. أما المؤاخذات التي أخذوا بها شعره السردى فهي كالآتي:

الخروج على حقائق التاريخ

يلزم على أديب ممارس أو شاعر بحار أن يلاحظ حقائق جرت في مجتمع ما وفي أي عصر حدثت. فكان من الواجب على شوقي أن يلاحظ الحقائق التاريخية حينما أراد تأليف مسرحياته ورواياته، كما أنه اتبع في المسرحيات الغرب، وأهل الغرب حينما يستمدون موضوعهم من التاريخ فكانوا لا يحاولون تغييره بسبب نزعات وطنية أو اجتماعية، بل يحافظون على حوادث التاريخ وحقائقها أو على الأقل يحافظون على روحها العامة. أما شوقي فخالف بعض الحقائق التاريخية في غير مسرحية بحيث قدّم كليوباترا صياغة يابها التاريخ، صاغها لا مستهترة أو قل بغياً ترتقي عند أقدام قواد الرومان، بل جعلها وطنية محبة لوطنها مدافعة عن كرامتها القومية، وهي تحيل أن تظفر على روما بالمكر والخداع، بعد أن أعيابها الظفر بما عن طريق القوة والبأس¹². طعنا على المأخذ السابق يقول الدكتور شوقي ضيف:

"وهذا تناقض في شخصية كليو باترا وفي صورتها التي أراد لها شوقي، وهو تناقض من أنه نسي موقفه وأنه ممثل، فاسترسل استرسال الشعراء الغائبين، ولم يقطع الشعر حين كان يجب أن يقطع. ولكن هذا الموقف والموقف السابق له ينبغي أن لا نتخذهما دليلاً على أنه أخطأ الطريق في المسرحية كلها، بل لقد عرف طريقه وطريق الشعر التمثيلي"¹³.

عدم العناية بمتقنيات المسرح

وثانياً ما يؤخذ عليه أنه لم يهتم بما يعد أدوات رئيسية لشعر مسرحي أو

المسرح، وكذا رسب فيما يراد بمثل هكذا الفن الجديد نحو انفكاك المعنى من اللفظ التي تتردّد في بعض مسرحياته حيث هو يقول في مسرحيته كليلو باترا:

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى
غننا بالشوق أن غنّ بنا نحن في الحب حديث بعدنا¹⁴

في البيتين المتقدمين يتوضح سرح المعنى عن الكلمات التي أتى بها شوقي. ومن المعلوم أن المسرح وخاصة المسرح المقدم المكتوب بالشعر يتطلب عناية تامة بكلمات واضحة المعنى.¹⁵

التشبيت في بحور الشعر المعروفة وقوافيه

العيب الثاني الذي لحق شعر شوقي المسرحي هو عدم المراعاة منه لأوزان الشعر العربي التي ما زال شعراء العرب سلكوا عليها وجعلوها أساسا، فشوقي حينما أراد أن يشرح في تمثيله مع الصياغة الموسيقية للشعر الغنائي لم ينتخب وزنا معيناً أو مجموعة خاصة من الأوزان الشعرية الغنائية، بل ينتقل بينها جميعاً. فحينما يبدأ بالرمل أو الرجز فيتحول عنه إلى الكامل ثم الوافر، فيألى السريع¹⁶. وهذه هي طريقته في كل المسرحيات، يتسلّل من حين إلى آخر كما يحلو له بدون قيد ولا شرط.

وقد خالف في تعيين وزن معين متبعيه الغربيين، فكان الغربيون يُجرون مسرحياتهم في أوزان خاصة تخالف أوزان الغناء، فللحوار أوزانه وللغناء أوزانه، أما شوقي فقد سوى بين أوزان الشعر الغنائي والقصصي الحواري، ولم يُقم حواجز وسدودا بين نوعي الشعر، مع أنه في وسعه أن يكتشف أوزان جديدة لشعره القصصي، كما فعل في غير موضع في الشعر الغنائي¹⁷. وهو الأمر الذي اضطر النقاد إلى القدح فيه، كما رأى فيه طه حسين¹⁸، فقال:

" أما عن التمثيل فقد عنى شوقي فأطرب وأثر ولكنه لم يمثّل، لأن التمثيل لا يُرْتَجَل، ولا يهجم عليه، وإنما هو فن يحتاج إلى الشباب والدرس والقراءة..... فكان تمثيله صورا تنقصها الروح، وإن حبّبتها إلى الناس ما فهيا من براعة الغناء¹⁹."

المخالفة لعادات العرب

وأمر آخر استزاده النقاد في مساوي مسرحياته هو مخالفته لعادات العرب، بحيث أنه افتتح مسرحيته "مجنون ليلي" بمشهد تتقدم فيه ليلي إلى أترابها ابن ذريح الحجازي²⁰، وهذا التزامي بين يدي الأثراب ليست من سنن العرب القديمة بل هي تداخل العيب إلى العرب المحدثين. وربما لم يحدث هذا العيب لإرضاء الشعب العربي المصري كالمعايب المتقدمة بل حدث العيب في مسرحيته لبعده البيئية²¹.

الإكثار بالإطناب

وهذا العيب هو أكثر قبحا في مسرحياته، إذ الشعر القصصي يقتضي استرسالاً وترابطاً بين الغابر والقادم، وأما شوقي فهو يطيل في جزئيات الحوار، فلا يكاد إلى الإيجاز والتركيز، فهو يخوض في بيان بعض الأشخاص ويضيف إلى تلك الشخصية ما يكفي الكلام بدونها ولو لم تُذكر تلك المديح للشخصية أو الهجاء لها، ويجدّ القارئ في استرجاع ما سبق من قبله لأنه قد ينسى ما شرع فيه من الحوار في داخل الرواية أو المسرح²². وكذا يظنّ القارئ كأنه شوقي لم يعرف صلات الرواية والمسرحية ومتطلباتها، وكأنه لم يعرف أن المسرحية والرواية يجب فيهما الخلو عن كل فضول. وبعد أن تكلم شوقي ضيف عن العيب المذكور في شعر أحمد شوقي القصصي، قال:

"وكل ذلك يُدخل على مجرى الأحداث في مسرحياته غير قليل من الاضطراب،
فالحركة لا تنطلق انطلاق السيل المندفع، بل تبطئ بطلاً يقل ويكثر حسب
المواقف العاطفية"²³.

كل تلك العيوب على رأس وعين، لأن أتعب الأعمال في ميدان المنكشفات هو بدءً بعمل يتصورها صاحبها من خلفيته أو يأخذه من الآخرين ثم ينقله إلى حيز فكره، فلا بد أن تقع فيه العيوب والنقائص فكذا شعره القصصي الغنائي الإبداعي لم يخلُ عن تلك النقائص. بصرف النظر عن العيوب المتقدمة قد امتاز شعره هذا بمزايا مختلفة لا بد من ذكرها بلمس يسير ليتبين طرفاً الصورة تبيّننا لا تبقى غشاء عليه. فنجاح هذا النوع من الشعر فتقدّم إلى الأمام لإطرابه، وتغنيته، وبهجة المناظر المقدمة فيه، واستحداث قصص لم يسبق إليها في الشعر الغنائي الراقي.

ملخص المقال أن شوقي لم ينل في شعره القصصي مثل مكانته في الغنائي، ولو جدّ أقصى جهوده في تأليف المسرحيات والروايات الشعرية منذ حداثة السنّ حينما أوفده الخديوي توفيق إلى فرنسا لتعلم الآداب الفرنسية. ولو اتبع الغرب كل الاتباع في الأخذ عنهم بمسالك الفنون الأدبية الجديدة وإدخالها في الأدب العربي رغم أنه قد سبق شوقي إلى وضع اللبنة الأولى في تقديم المسرح في قوالب الشعر، وإليه ترجع الرائدة لفن المسرح الشعري في أدب العرب لأنه في تمثيلاته غنى فأطرب وأثر في القلوب، رغم هذا لم ينجح التمثيل لأن هذا الفن لا يرتجل ارتجالاً وكان شوقي في آخره عمره فلم يمهّل لطول حياته مزيداً ولم يكتمل الفن كاكتمال الفنون الجديدة والقديمة في شعره²⁴.

الهوامش

1 عبدالله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسياً، وأسلم على يد عم السفاح حوولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له كتباً كثيرة، منها "كليلة ودمنة" وهو أشهر كتبه. توفي سنة 142هـ. [لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني 3: 366.... البداية والنهاية، ابن كثير 10: 96]

2 نابليون (1769م - 1821م): ولد بفرنسا، وساس قومه وهو كان شاباً. له دور هام في ثورة فرنسا المديدة في ما بين 1804م - 1814م. وله أيضاً سهم بارز في المعارك مع أوربا.

[http://en.wikipedia.org/wiki/Napoleon ترجمت العبارة من الإنجليزية]

3 مارون بن إلياس بن ميخائيل النقاش: من الرواد الأول لفن التمثيل العربي، ولد بصيدا ونشأ وتعلم ببيروت. وعمل في التجارة. ورحل (1846) إلى إيطاليا، فأعجب بالتمثيل. وعاد إلى بيروت فترجم عن الفرنسية قصة "البخيل" لموليير، وأدخل فيها شعراً. ومثلها في داره مع بعض أصحابه سنة (1848) ثم ألف روايات غيرها أقبل الناس عليها. توفي بطرسوس سنة 1855م. [الأعلام، الزركلي، 5: 253]

4 الأعلام: 5: 253

5 شوقي شاعر العصر الحديث: 179-180

6 انظر: مهرجان شوقي: 113

7 الطفولة في الشعر العربي والعالمي، د. كنعان: 42

8 انظر: الشوقيات: 4: 855 - 895.

9 انظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات: 27

- 10 أحد المحاضرين بمهرجان شوقي سنة 1958م
- 11 انظر: مهرجان شوقي: 117، في ذيل المقال عن: مسرحيات شوقي، للدكتور محمد مندور.
- 12 انظر: كليو باترا: 37-54. قد طعنه على هذا المأخذ شوقي ضيف. انظر: شوقي شاعر العصر الحديث: 184
- 13 نفس المصدر: 208
- 14 كليو باترا، أحمد شوقي: 33
- 15 انظر للتفصيل: المسرحية في شعر شوقي، محمد حامد شوكت: 31-46
- 16 انظر: مسرحياته؛ مجنون ليلي، عنتره، على بك الكبير، قميبيز في غير من المواضع
- 17 مهرجان شوقي: 199
- 18 طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة. وله ثلاث شهادات في الأدب، له كتب كثيرة أدبية غيرها. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيس المجمع اللغة بمصر. ويلقب بـ " عميد اللغة العربية الحديثة". توفي بالقاهرة سنة 1973م. [الأعلام 3: 231-232]
- 19 حافظ وشوقي، طه حسين: 219
- 20 انظر: مجنون ليلي: 15
- 21 انظر للتفصيل: شوقي شاعر العصر الحديث: 185
- 22 انظر: مجنون ليلي: 7، 10، 17، 123، 140..... وانظر أيضاً: عنتره: 35، 129..... كليو باترا: 10، 16، 49، 50، 84
- 23 المصدر السابق: 189
- 24 أنظر للتفصيل: حافظ وشوقي، طه حسين: 221